

تأليف

جيلي عبد الرحمن

تاج السر الحسن

دار الجيل

بيروت

قصائد من السودان

تأليف

جيلي عبد الرحمن
تاج السر الحسن

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

الاهداء

الى الشعب السوداني الباسل

في معركته من أجل حياة أفضل



الإهداء

الى الشعب السوداني الباسل

في معركته من أجل حياة أفضل



الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

تصدير

صدرت الطبعة الأولى من مجموعة «قصائد من السودان» في القاهرة ـ فبراير ١٩٥٦ ـ من «دار الفكر».حيث كَتَبَ مقدمة هذه الطبعة الشاعر المصري الرائد كمال عبدالحليم... ولقد أثارت هذه المجموعة منذ ذلك الوقت الكثير من المناقشات لما طرحته من تجارب جديدة في الشكل والمحتوى واعتبرها العديد من النقاد العرب إضافة أثْرَت حركة الشعر العربي المعاصر.

تصدر الطبعة الثانية من هذه المجموعة بناءً على رغبة العديد من القرّاء والباحثين في السودان وأنحاء الوطن العربي الأخرى... آملين أن يجد فيها محبو الشعر ما يمتع العقل، ويثير الوجدان.



مقدمة

لا زال الشعر هو الفن الأول بالسودان والسودان يضطرم بالشعراء، كما يضطرم بالثورة على الاستعمار والرغبة في حياة جديدة...

والاستعمار هو الذي عاق حركة التطور الاقتصادي، وحركة تطور الفنون الأخرى.

الأرض الغنية كانت تسيل للاستعماريين واعوانهم أرباحاً وخيراً، وتضيق عن حياة الجماهير...

وفي هذا الفقر والضيق ترعرعت الصوفية، وغرق بعض الشعراء في بحرها، وانصرفوا إلى الغيبيات!

والبعض الآخر كاد يغرق وهو ينادي بأن الله لا يرضى الظلم. وحكم الأجنبي...

* * *

وفي هذه الأرض ولد (تاج السر) عام ١٩٣٠ وبعد عام ولد (جيلي عبد الرحمن). استقبلهم عام ١٩٣٠ المضطرب المتأزم المتهيىء للحرب.. والذي انتهى إلى أبشع حرب عرفتها الإنسانية.

وافترقا في تفاصيل الحياة!

وكان «تاج»

ذاك الفتى المهموم كالذكريات
ذاك الفتى الساهم مثل الشحوب[1]
كأنه كآبة جسدت
من كل أجواء الشتاء الكئيب

كان تاج أكثر ارتباطاً بالتربية السودانية. درج عليها، وعاش بين ناسها، وانطبعت صورها في نفسه الشاعرة.

وكان أكثر تأثراً بالنشأة الدينية، بل إن جده ولي له (قبه) في السودان... وفي السابعة عشرة انتابه ذهول صار غيبوبة كاملة وهو في التاسعة عشرة، لم تنقذه منها إلا الصدمات الكهربائية.

ثم جاء إلى مصر ليدرس، ويخلص من هذا الذهول!

واستغرق في إحساس بالغربة والحنين للسودان.

---

(١) من قصيدة عرف الغربة وهي ليست من قصائد الديوان.

وكان في مرحلة التفكير الصوفي يشعر بالغربة عن الكون جميعه

أي طين جبلت من ذراته[1]
وتغشيت في ردى ظلماته
كلما شمت في الحياة جمالا
دنست حمأة الثرى آياته

ثم تركز الإحساس بالغربة عنده حول وطنه وشعبه فيقول في عيد الغريب:

واخوتي يا عيد هل عانقوا
فرحة أضوائك عند الصباح
أم ذكروني فبكى قلبهم
لغربتي واستسلموا للنواح

إلى أن يقول:
والغربة الحمقاء هذي العجوز
ترتع في الوادي وفي أرضنا
ساحرة تمتص معنى الحياة
معنى بقائي في بلادي أنا

* * *

ثم صور تاج في (لاجيء) وحشية العدوان

---

(١) من قصيدة مبكرة وليست في الديوان.

الصهيوني على الحياة الجميلة الآمنة، وربط إحساسه بالغربة بمأساة اللاجيء:

هـا أنـت مثلـي فـي رحـاب الحيـاة
تمشـي ولا تـدري إلاَم تسيـر

وولّد فيه هذا الارتباط شعوراً جديداً أقوى من الغربة والضياع:

فـأنـت منـي ونحـن تـرنيمـة
ونحن صـوت يتحـدى القـرون!

والقرون تعبير غير مباشر، وناقص، عن الأعداء جميعاً!

وأشعار الغربة عند تاج كثيرة، منها: «في ظلال الأمس» و«عرف الغربة» من الشعر الذي لم يتسع له الديوان والذي يفيض بصور الحياة في السودان... وهذه الغربة في نفس تاج عامل من أهم العوامل المؤثرة في شعره، وفي حياته. وهي ستتلاشى في يوم من الأيام

ونـدفـن الـغـربـة لا لـن تـكـون
فـي الأرض هـذه الغـربـة الشـاحبـة
نشـعلهـا فـي النـار نلقـي بـهـا
تـذرهـا العـاصفـة الصـاخبـة

وهي تتلاشى شيئاً فشيئاً، وتتحول عنده إلى تأكيد مستمر لمعالم القومية السودانية، إلى مجهود مباشر

للقضاء على (الغربة) عند شعبه إن صح التعبير، وتعريفه للناس، وتمجيد صراعه.

* * *

وأشعار «تاج» تتدفق تصوّر. السودان من وجهة نظر الشعب، فنرى (الكاهن) الإقطاعي على حقيقته... في قصره الذي يتعالى خلف أكواخ عبيد الأرض!

كاهناً هاجرت خطاه بعيداً

عند أرض المدينة الغنّاء

فتلاشت في نفسه صور القرية إلا حنينه للعطاء

نسي القائمين عند الجداول

نسي القابضين أيدي المعاول

غير همس النقود، همس السنابل

غير إضاءة الشريد الذاهل

غير لثم الحذاء، لثم الأنامل!

* * *

والبهو في قصر الكاهن من أجمل الصور التي رسمها تاج، بل من أروع صور الشعر.

* * *

ثم ينفجر تاج في (ثورة) وإن كنا لا نَسْتَبْين معالمها، أو خط سيرها. فهي ثورة تضج بنفس الشاعر من أجل بلاده.

سـوف لا تنطـوي بقلبي أحـزاني ولكـن ستنقضي أحزاني

وإذا أيقظ النشيـد قـوى شعبي ونـادي من عمقـه سوداني

* * *

ثم يصرخ في (المسوخ):

أنا لست جيفه

أنا أنّة من شعبي المصفود حارقة مخيفه

أنا لست جيفه!

أنا شاعر قلبي تموج به الحياة هنا وريفه

صرخات داوية معبرة عن مأساة. والمأساة هي أنـا. وهي الشعب المصفود بشكل عام. أو هي الحركـة التي لم تتضح معالمها إلى أين؟؟

ثم يتحدد المكان. عطبـرة مدينـة الحديـد واللهيب. والشغيلة الأحرار والنضال.

وتبرز وجوه الأبطال. قاسم وسلام والشفيع!

وتبـرز وجوه الشهـداء. صـلاح. قـرشي. لتـذكـرهم الجماهير، وتثار لهم.

وتبرز الأخوّة المشـرقة. وتتعـانق أذرع الشغيلة في السودان وعمال لانكشير المضربين وشمـال إفريقيـا الذي يحمل السلاح. أشياء لم تكن تقال.

وهذه التجربة الضخمة. يختـار لها صيـاغة جـديدة غنية بالألوان والظلال.

ولكن عطبـرة ليست إلا أول رحلـة تــاج «هي نقطـة البدء من السودان ليرتبط بالعالم كله»...

* * *

أما (جيلي) فهو لم ير أباه، ولم تلفه ذراعاه إلا في مصر. عرفت عائلته الهجرة، والغربة. ولكن من أجل القوت.

وبـدأ (جيلي) الـرحلـة إلى مصـر في التــاسعـة، لا التاسعة عشـرة، مع أمـه ليلحق بأبيـه. وعمه واقف فـوق الأرض الجدبة يودعهما:

«بني.. إذا ما وصلت بخير
وأعطاكم الله.. من عنده!
فقل لأبيك: تذكر أخاك
تذكره دوماً... على بعده...»

ولم ينس (جيلي) هذا الصوت... ولكنه اختار طريقاً آخر ليحفظ به لعمه، وله، ولشعبه حق الحياة الكريمة!

وفي مصـر غرق جيلي مـع الناس البسطـاء. وغرقت معه الغربة في حياة واسعة.

فهـو في الحارة. والشـارع. والقـريـة. مـع العمـال والفلاحين والطلبة والحرفيين وسائر الناس البسطاء.

وعبر عن اندماج طفولته في السودان بصباه وشبابه في مصر...

* * *

يقدم لنا حارة «زهرة الربيع» في سرد واقعي بسيط، حبيب إلى النفس البسيطة.

«حـارتنـا مخبـوءة في حي عـابـدين»

يقـدمها لنـا من (الصفيحة) التي تحمـل اسمها. إلى لهو الأطفال وحديثهم البريء الفقيـر، ويهزنـا من أعماقنـا عندما

«انـزلقت عيـونهم في ثـوبـه القـديم»

* * *

ثم يقدم لنا (شوارع المدينة) صورة قـاسية. قسـوة الصراع الطبقي.. ويعلو الدخان. ويدور المصنع - ويرسل (الإلـه) عيونـه في الحارات يقتطعـون الطريق ويعـذبون الإنسان فيقول:

وكنت والرفاق في النهار نستعيذ
ونسأل الصباح في ابتهالة العجوز.
حزمتين من ضياء!

والاستعاذة. والسؤال في ابتهالـة العجوز لا تجلب، ولم تجلب حزمة واحدة من ضياء، ولعـل (جيلي) قد أدرك ذلك.

* * *

ثم يخـرج جيلي إلى طبيعـة أرحب، وحيـاة أخصب في القرية المصرية، ويصورها لنـا. نحن المصريين، كمـا لم يصورها لنا شعرنـا المصري! ففي (الفجـر في قريـة) -

والاقتباس غير ممكن لأنها كلها صورة مكتملة ـ يقول:

«وتلاقت أشباح تمشي
عبر الدرب. صوب المسجد
وصباح القشدة... يا أحمد
وصباح الخير...
وتصافحت الأيدي الخشنة»

أما في (عزاء في قرية) فالطبيعة تساهم في العزاء
وتلوح أكوام المنازل وهي ترقد كالفئوس
صدئت كحظ النائمين بها، وشاخت كالنفوس

والقرية عنده خليط من الناس والحيوان، ومن التطلع والألم، ومن مصر والسودان... ولعل هذا يفسر لنا روعة هذا الانطلاق

فالأكواخ واحدة هنا وهناك، والنيل واحد، والمأساة واحدة فهو يقول في (عبرى):

وساقية مرنحة تجرجرها قوى الثور
وتجثم خلفها الأخرى وتشكو قسوة الهجر
أجل قد ماتت الأبقار والمحصول لا يغري
ونجري نحن أغراراً. ونلقي الطوب في البئر
ونبني كوخنا المختار بالطين، وبالصخر
فمأدبة بلا خبز... وزيجات بلا مهر!!

وفيها يقول:

وعيشا قد عرفناه حثالات من البر

نجهز ذبحة الضأن، لعيد الفطر، والنحر
فنشبع فيهما لحما. ونعطي البعض للغير

* * *

ومأساة القرية عنده ليست بلا حل. فهو بعد أن يفرغ من العزاء يقول:

ودلفت والقمر الطروب يذيب أحزان الشجر!
وتماوجت في خاطري صور الصباح المنتظر

غير أن هذا الفجر الذي يراه هو، لا يراه الفلاحون. لقد كانوا:

يغمغمون، ويغرقون
وفي انكسار يطرقون
ومن العيون الذابلات تضج أحقاد السنين
وعلى الوجوه الشاحبات مرارة العيش المهين!

ليته رآه في عيونهم، كما رآه في (قصة فلاح)[1]. فإن فجرنا لن يصنعه إلا ملايين العمال والفلاحين. الأرجل الغائصة في الطين، والأيدي التي تخلق الحياة في مصر والسودان.

* * *

وفي كوريا يبرز التفاعل المتبادل بين ثورة الشاعر وبين الحرب التحريرية هناك... وهي انطلاق في

(١) قصيدة لم تنشر في الديوان.

الموضوع، لكنه انطلاق بلا أجنحة. فجيلي لم يحلّق هناك، وإنما اكتفى برسم صورة الدمار، وشهقة الفقراء ثم راح بعد ذلك، يمجد كوريا وكفاحها، لأنها تبني قبر اللدجى. ولكن كيف؟

والصياغة التقريرية الكلاسيكية في (كوريا) ترجع إلى هذه النظرية الجزئية للموضوع.

* * *

وفي (يد) نحس ما وراء هذه اليد، وهذه المصافحة، وهذا الموعد. نحس دفء الصداقة، ونحس متناقضات الحياة والصراع. نحس (الحنان الحاقد)، وهو ثورة تبدأ بالحنان، ولكنها تتضمن الحقد. ونحن بالتفاعل المتجاوب بين القادة والجماهير. القادة ينبعون من آلام الجماهير. ثم يرتدّون إلى أحضان الجماهير، يدفعونها إلى الحركة، كما دفعتهم لتخلص نفسها بنفسها!!

وهذه القصيدة الصغيرة، والتي قد تبدو ضئيلة، والتي التزم فيها (جيلي) القافية الموحدة، ففرضت عليه لفظاً أو لفظين... هذه القصيدة القصيرة قمّة عالية في الديوان.

* * *

والعمل الفني أو الأدبي إذا قفز إلى الحقائق العقلية وتجاهل صور الحياة التي تكون معرفتنا الحسية بها. الطريق الوحيد إلى هذه الحقائق، لم يغترف من الطبيعة

الحية الزاخرة بالتجارب وبالحركة وبالأشخاص، فإنه يكون عملاً فنيا من جانب واحد، ويغلب عليه الطابع التجريدي وتتأثر صياغته بذلك لأن الصياغة المتحركة لن تبعث فيه الحركة المفقودة في المحتوى.

أما إذا غرق في تصوير الطبيعة والحياة تصويراً حسياً، فإنه يغرق في وحل «الطبيعية» لأنه لا يرفع هذه المعرفة الحسية إلى مستوى المعرفة العقلية.

ونحن أحوج ما نكون إلى الدمج بين الصورة الحية، والقيم الإنسانية، المستمدة من مجموع هذه الصور.

وفي هذا يكمل ناج وجيلي الواحد منهما الآخر.

وما أحوجهما، وأحوجنا جميعاً، إلى الانطلاق... إلى الحياة الواسعة، وإلى العمال والفلاحين لأنهم أهم حقائق هذه الحياة.

* * *

وما أحوجنا إلى التعبير عن كفاح شعوبنا ضد الاستعمار ومن أجل السلام. فإن هذا الكفاح من أهم حقائق الحياة، ومن أنبل القيم الإنسانية.

ومن صور حياة الشعوب ومن كفاحها للأستقلال والسلام، سنخلق جميعاً، أدباً وفناً جديداً في مستوى اعلى في محتواه السياسي، وفي صياغته الفنية.

وتاج، وجيلي يسيران، ونحن نسير معهم بإخلاص إلى هذا المستوى.

* * *

وقد حقق تاج وجيلي بهذا الديوان انتصاراً جديداً للقومية السودانية التي تحارب كالمارد أعداء وجودها المستقل!

وهما يسيران مع جيل جديد من الشعراء السودانيين ينبعون جميعاً من التراث الغني في الشعر السوداني، ويضيفون له القدرة الخالقة على الارتباط بالإنسانية كلها في أشرف معاركها: «التحرر والسلام». وهم يؤمنون بالشعب السوداني أولا... مصدر إلهامهم وشعورهم بالقوة، ويؤمنون بكفاح الشعبين السوداني والمصري المشترك في المعركة الواحدة ضد العدو الواحد، ضد الاستعمار. وهذا الديوان ظاهرة من ظواهر هذه الحقيقة المشرقة.

وبعد... لقد عجزت عن عرض كل النواحي المشرقة في شعر تاج وجيلي... لقد راعني من تاج قوة دافقة في الإحساس، وفي تصوير هذا الإحساس. قوة أعمق من الشعر الذي نقرؤه له، لأنها تختفي فيه، وأحياناً تختفي وراءه. وراعني منه قدماه الراسختان في تربة السودان. وعيناه الغارقتان في مأساة بلاده وأزمته هو ـ ستستمدان الوضوح من اتصال قدميه بتربة السودان ومن تطلعه إلى العالم الذي حوله والانطلاق فيه ـ وعطبرة وما أنتجه

بعدها هو من ثمرات هذا الاتصال.

وراعني من جيلي لوحاته الرحبة، رحابة حياتنا. وراعني أنني أزداد تعلقاً بلوحاته كلما قرأتها، وإن ألوانها ليست من التي يبهتها الزمن، بل تزداد مع مروره وضوحاً ونوراً.

وراعني أنهما من حقائق العبقرية التي تفيض بها بلادنا، بلاد الشرق المستعمَر.

والتي تكتمل قبل الخامسة والعشرين.

كمال عبدالحليم



جيلي عبدالرحمن

شوارع المدينة

أطفال حارة زهرة الربيع

يـد

الفجر في قرية

عبرى

هجرة من صاي

عزاء في قرية

كوريا



وذات يوم أطبقت عمائر المدينة!



شوارع المدينة

شوارع المدينة المخضوبة البيوت
بالدخان والزيوت!!
حاراتها الجرداء. في أحنائها الشقاء
واليأس. والرجاء
والحزن والسرور
قهقهة (الشغيلة) المحنية الظهور
محمومة الصدور!
ترنّ كالصخور... في مصنع يدور
وتبعث الأضواء للقصور. للفجور!
تشيد الجسور والرخام
وتفرش الحصير والظلام
لكنها تدور...
وتعشق الزحام!

شوارع المدينة المخضوبة البيوت
بالدخان والزيوت
نعيش في أعماقها.. نعيش لا نموت

* * *

وذات يوم أطبقت عمائر المدينه
كالموج في المحيط... يقتلع السفينه
وأرسل (الإله) في حاراتنا عيونه
فاقتطعوا الطريق. ثم شيدوا الأسوار
وعذبوا الإنسان كي يمزقوا الأنوار
ودقت الأبراج في الكنائس القديمه
أجراسها الحزينه!
وكنت والرفاق في النهار نستعيذ
ونسأل الصباح في ابتهالة العجوز
حزمتين من ضياء!
ويزحف الغروب والمساء كالسجون
يلملم النجوم!
وتضرع القلوب للسماء. يا قمر
تمدد الظلام. وأزهق البشر
ورحت في شبابتي أحن للربوع
كالحمل الوديع
وأغمر الحقول والغدير والشجر
بمقطع حزين

ففي صعيد قريتي لا خوف. لا أسوار
تكمم النهار...

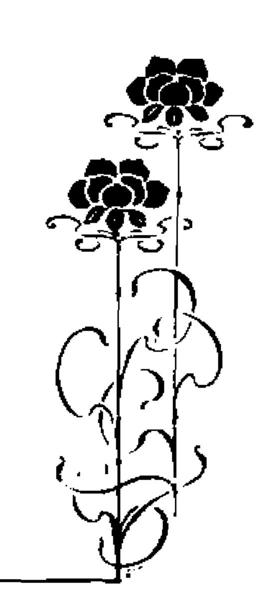
* * *

مشيت في شوارع المدينة الحزينه
أسامر العيون
وفي الفناء حول قصر المالك الكبير
تكوم الرعاع... وأخوة جياع
يسعلون.. يضحكون!!
وأبصرت عيناي في مفارق الطريق
صبية عنيدة مقطوعة الذراع
تموج في الصراع!
والناس في الصقيع يحلمون بالربيع
وعدت من هناك من نقاوة الحقول
وهمسة الغدير
أبارك الجموع!
قهقهة (الشغيلة) المحنية الظهور
محمومة الصدور!
ترنّ كالصخور. في مصنع يدور
تنور النشيد..
شوارع المدينة المخضوبة البيوت
بالدخان والزيوت!
تعيش في أعماقها تعيش لا تموت

* * *



«وصابر» في وجه استدارة الريال!



أطفال حارة زهرة الربيع

حارتنا مخبوءة في حي عابدين
تطاولت بيوتها كأنها قلاع
وسدت الأضواء عن أبنائها الجياع
للنور. والزهور. والحياة.
فاغرورقت في شجونها وشوقها الحزين
نوافذ كأنها. ضلوع ميتين!
وبابها. عجوز!!
وفوق عتمة الجدار
صفيحة مغروسة في كومة الغبار
تآكلت حروفها لكنها تضوع
(زهرة الربيع)
وفي البكور يخرج الرجال
أقدامهم منهوكة. وصمتهم سعال

يدعون للإله في ابتهال
يا إله. . .
افتح لنا الأبواب. . وسهِّل الأرزاق
وتختفي أقدامهم في زحمة الحياة
ويصخب العراك في شتائم يدور
وبائع الكرات والجرجير.
ينغم النداء
في صوته انطلاقة الحمام في السماء
يختال كالأوز في القرى
فيهدأ السباب!

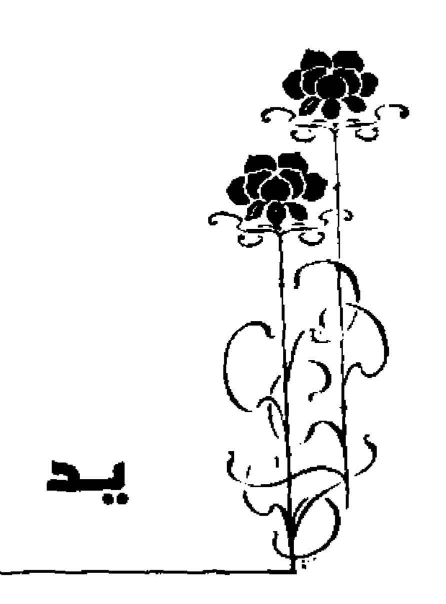
* * *

وترسل البنات من نوافذ البيوت
أشذاء أغنيات
تحن للنيون والعبير.
في عالم بعيد. .
وللعريس وهو في ثيابه يميس
وتورق الألحان في القلوب
فتنسج الكروم من أشعة النهار
لزهرة الربيع!
حارتنا مخبوءة في حي عابدين

* * *

أطفالنا في الصبح يمرحون كالطيور
يبتنون في السدود. يقفزون كالقرود
محمد عيونه الشهدية الصفاء
تخضل بالحنان!
«وصابر» في وجهه استدارة الريال
«ورفعت» بأنفه يدب كالمنقار
وأخته كالنور ياسمين
في رجلها خلخال!
وذات يوم مشرق السناء كالبللور
تجمعوا كأنهم بدور
«محمد» يحكي لهم في لثغة العصفور
عن راكب الحصان في الميدان
والماء من نافورة تضاء
ينساب للسماء
والشجر المخضوضر الكثير...
حارتنا يا إخوتي تمتد كالثعبان
ووالدي هناك عبر شارع مسحور
بيوته قصور!
يبيع في ملابس النساء والرجال
وصاحب الدكان...
خواجة دماؤه حمراء كالبطيخ!!
فقالت الأطفال. يا سلام..
وأطرقت «ياسمين» في براءة الملاك

لتقطر الكلام مثل زهرة تفوح
أريد من أبيك يا محمد فستان
وهام في وجوههم سؤال!
وانزلقت عيونهم في ثوبه القديم!
وطافت الهموم فوق رأسه الصغير
ورفت الدموع
وحين عاد كالأسى الرجال
أقدامهم معروقة. وصمتهم سعال
وحط كالغيوم في حارتنا الظلام
تناغت العيال في الأعشاش
يسألون في العشاء عن قصور
وراكب الحصان في الميدان
والشجر المخضوضر الكثير
وانهمرت دموعهم. في زهرة الربيع
«محمد» ينام. والأطفال. والأحلام!
حارتنا مخبوءة في حي عابدين
تطاولت بيوتها كأنها قلاع
وبابها عجوز
وفوق عتمة الجدار
صفيحة مغروسة في كومة الغبار
تآكلت حروفها لكنها تضوع
«زهرة الربيع»



يـد

يدك التي هزت يدي
بالأمس.
بعد الموعد...
كانت تسيل من الحنان الحلو والأمل الندي
وترعرعت في راحتيها كل آمال الغد
في كل ما ادخر الزمان إلى الورى من سؤدد
ما زلت أملأ خاطري منها كقبلة والد

* * *

يا كم تفجر من حنانك في ضميري
باليد!!
ويفور قلبي يا صديق. يفور مثل الموقد
ويظل يخنقه السؤال
عن الحنان الحاقد!

كيف احتملت لظاه في لفح النضال المربد؟
وحضنت أحقاد الجياع وصرخة المتشرد
وحملتها في ساعديك
. . . حملتها. كالمارد!
لتدق أعناق الطغاة. . تدق وجه السيد
وتصيح في سمع الجموع
. . تصيح. لا. لا تسجدي
قومي لتقتلعي المعاقل. . . كالحريق الأسود
قومي قد اختال الظلام لأننا لم نرعد!
قومي لتنبثق الزهور. لتأكلي ولتحصدي
قومي يداً. ترفع يداً
بل ساعداً في ساعد

* * *

كل المعاني يا صديق بقلبك المتودد
كل المعاني في العيون الظامئات إلى الغد
ويعود يلفحني السؤال عن الحنان الحاقد!

* * *



الفجر في قريـة

وترامت في حضن الظلمة
أكواخ. راجفة. جهمة
نامت كي تصحو في الفجر!
ويطل الديك على دور
تجثو. في الليل المضفور
وتهادت أنة طنبور
ما زالت تضرب في الماء
أيد تسقى!

* * *

وينام هناك على السطح
عم سعيد..
والوجه القمحي الطيب
حفنة نور..

وشعيرات كانت ترشح
كالبللور . .
عرق الأرض الساخن.

* * *

والذعر عى عين سكينه
ظلل أحلاماً مجنونه
تلك البنت النضره.
كانت تجري خلق البقره
قد ربطتها عند الشجره
فكت عقدتها الملعونه

* * *

عم «سعيد» يحضن إبنه
في الشفتين. لمعة سمن
«شعبان» ينام كعصفور
زقزق أحلاماً في الغصن
والديك ينط على السور
والعنزة تنصت للزير
يقطر ماء. . يقطر ماء!
وترامت في حضن الظلمة
أكواخ. راجفة. جهمة
نامت كي تصحو في الفجر

* * *

والفجر يمد ذراعيه
فوق الخيمة..
ويمزق موجات ضخمة
فتساقط في الهوة نجمه!
والديك على سطح البيت
شد جناحه..
ملاح الفجر يرقرق،
أفراح الأضواء وأفراحه
فاستيقظ في جحر أرنب
ونباح مبحوح..
هو كلب الجيران الأجرب
وديوك أخرى!
وتلاقت أشباح تمشي
عبر الدرب. صوب المسجد
وصباح القشدة يا «أحمد»
وصباح الخير.
وتصافحت الأيدي الخشنة

* * *

هو عم سعيد ينتحب
الدودة أهلكت القطنا
يا رب..
ويبلل أرض المسجد

دمع العين!
«يا رب الناظر
هذا الفاجر!
هل يأخذ مني البقره
من أجل جنيهات عشره
وجنيهين!
سأسددها بعد الأذره
إن عشنا..
يا رب.»

* * *

كان صباح ملء القريه
حقداً وصراخاً في القلب
يا رب الناظر. يا رب
عم سعيد يحتضن إبنه
والوجه كأرض مستعره
والعين توهجتا ثوره
«أخذوا من داري البقره
والدودة أهلكت القطنا
لم تزهر في أرضي شجره»
والقرية روح تتعذب
حقد وصراخ في القلب
حتى الأطفال على الدرب

لم تلعب!!
ودجاجات كانت تمشي
وتنقر في الطين على الحب
ونباح. مبحوح. دام
هو كلب الجيران الأجرب



فمأدبة بلا خبز!



عبرى

أحن إليك يا عبرى
حنينا ماج في صدري
وأذكر عهدك البسام
عهد الظل. في عمري!
تطوف بخاطري الذكرى
من الأعماق. من غوري
وتبدو في بهاتتها
كطيف. خالد. يسري
عليه غلالة سوداء
ذابت في رؤى الفجر
طيوف لست أنساها
ورب يعافها غيري!

* * *

أنا ظمآن يا عبرى
إلى الأمواه والطير
إلى كثبانك الغرقى
هناك... بحافة النهر
يذهبها سنا الشمس
بأكوام من التبر!
ونخلك رامق النظرات
ملء السفح.. والجسر
يطل على ربى النيل
ويحمل أطيب الثمر
غذاء. دائم. حلو
لنا في البرد. والحر
وأطباق مبعثرة
على أكواخك السمر
تلألأ مثل آمال
نمت في جدبة القفر

* * *

وخلف جبالك الثكلى
عتاة الجن والشر
وأعراب..
وألغاز تحير عالم الفكر

تخوفني بها أمي
تقول طويلة الشعر
وأرجلها من الطين
وأعينها من الجمر!

* * *

وساقية مرنحة
تجرجرها قوى الثور
تدلت أذنه تعباً
من الانهاك. والسير
ويمشي خلفه الفلاح
وهو مقوس الظهر
تغيم بعينه الدنيا
ويلعن ذلة الفقر!
وتجثم خلفها الأخرى
وتشكو قسوة الهجر
أجل قد ماتت الأبقار
... والمحصول لا يغري
ونجري نحن أغراراً
ونلقي الطوب في البئر
ونبني كوخنا المختار
بالطين. وبالصخر

فمأدبة بلا خبز
وزيجات بلا مهر!

* * *

ويوم غرقت في النهر
وأختي ولولت تجري
وصاح الناس من هول
وماج الجمع في ذعر
وأنقذني من الموت
فتى قد هاله أمري!

* * *

أكلنا لحم تمساح
وذقنا أرنب البر
وعيشاً قد عرفناه
حثالات من البر
نجهز ذبحة الضان
لعيد الفطر... والنحر!
فنشبع فيهما لحماً
ونعطي البعض للغير

* * *

أنا ظمآن يا قلبي
إلى صاي... إلى عبرى

إلى عنـزاتي الصغـرى
إلـى لـيـلاتـي الـغـر
أقـضيهـا بـلا قـيـد
مع الأطفال.. والبدر!
سـذاجـات... وأخيلة
تـظللها يـد الـطهـر
نشـاوى مثـل أسمـاك
تـعـوم بـرائق الـنهـر
حنيني جـارف. عـات
بـرغم المسلـك الوعـر
تـرائي! كيـف أنسـاه؟
وقـد أودعـتـه عبـري

* * *



هجرة من صاي

وقفن على الشط كالذكريات
بقلب المعذب والشـاعــر
وقـبلن أمـي في وجـهـهــا
ولــوّحن للركب الــزاخــر
وعمي يبلل رأسي الصغير
بريق الفم . اللاهث الغائر
ولحيتــه شــوّكت وجـنـتـي
وداعب شـاربـه نــاظـري!
وقــال وفي مقلتيـه دمــوع
نــزلن غــزاراً على خــده
وفي قلبـه أمنيات حيـارى
يناجي بها الليل . . في سهده!
بني . . . إذا ما وصلت بخير

وأعـطاكم الله من عنـده
فقل لأبيك... تذكر أخاك!
تذكره دوماً... على بعده!

* * *

كهول على الشط تحت النخيل
كـأشبـاح أسـطورة سـاخـرة
روتها المياه إلى الشاطئين
ميـاه. مقهقهـة. ثـائـرة
وشيخ يحملق في الواقفين
وروح تحـوم في القاهـرة
وخلف النخيل.. على البعد.. ترنو
بيوت مبعثرة خائرة!
وحين تعالى شراع السفين
ليهتك ستر الفضاء الرحيب
ترقرق في العين دمع القلوب
وثم عويل. وصوت رعيب
وعمي يشيـر بكلتـا يـديه
وأمي تـرد بـطرف كئيب
وغاب بنا موكب الراحلين
كخاطرة في ضمير الغيوب!!
أمان تداعب قلب الغـلام
وأمي تنغمهـا كـل حين

ففي مصر... فاكهة البرتقال
وفيها لذائذ... للآكلين!
قصور. تطاول سحب السماء
وتسلب في مرتقاها العيون
وترقص مصر. بأنوارها
وأنوارها تسحر الناظرين

* * *

ورحت ألوّن هذا الخيال
بريشة أحلامي المبدعة
أظلل في خاطري صورة
مجسدة لأبي بارعة!
ولما تعالى صفير القطار
وزمجر كالقصفة المفزعه
جريت وأمي بدت مسرعه
تساهم في الضجة الممتعه

* * *

ركبنا القطار. فيا للهناء
ويا للعناء... عناء السفر!
ورحت أحلق بين الحقول
حقول!... وشيء يثير الفكر!
فأين نهاية هذي الزروع!
عجبت عجيب أيجري الشجر؟؟

وسـاءلت أمي في لهفـة
فردت علي. بروح ضجر

* * *

وكان عناق.. وكـان بكاء
فيـا لـلأسى. ليلة دامسـة

....

وعمي. لقد مات عمي هناك
لقد مات فوق حطام جديب
ونحن أقمنـا لـه مـأتمـاً
هنا في الصدور. هنا في القلوب
ونحن حفـرنا على أعـظم
نمزقها في الأسى والشحوب
حفـرنا عليهـا حروفـاً تنير
شعاب الطريق لروح غريب

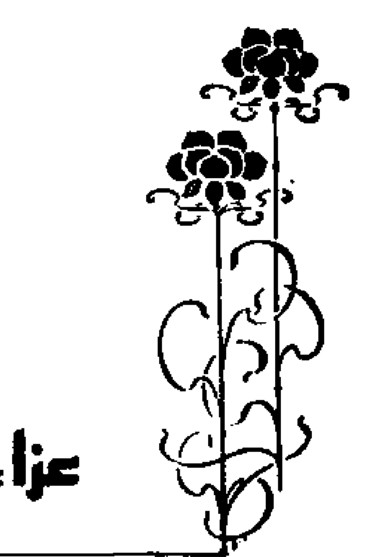
* * *

ومن فم آبائنا قد رضعنا
أغاني الجحيم. ونوح اللهيب
وأنّا سنرجع يا صاي يوماً
ونعمـر أكـواخنـا والـدروب

* * *



وفي انكسار يطرقون!



عزاء في قرية

ومشيت في الـدرب الـقـديم
يـضمـنـي الـليـل الـجـهـوم
ويضم أطـراف الحقـول. المستكينـة... في وجـوم
وتـطل أعنـاق الغصـون الـلاهثـات... إلى النجـوم
قـد راعهـا ليـل الهمـوم... بـلا نهـايـة لا تخـوم!

* * *

وتصـوغ أحـذيـة الـرفـاق الضـاربـات على الـطريق
العازفات مع الصريـر... مع الجنـادب... والنقيق
لـحنـا يـوقـعـه الـسكـون
بعـالم الصمت العـميق...
يتملمـل الليـل السحيق لـه... ويبلعـه بـضيـق!

* * *

وهنـاك عبـر زروعهم... عبـر البيـوت النـائمـه

صـــوت يـلوح كـهــمـهــمـــه
أو أنـــة. مـــتــظلمـــه!
وتـسيـــر فـي وسط الــطريق... ذبالـة مـتـضــرمـــه
قـــرويـة تـــاهت دجـــاجتهـــا... وتبحث هـــائمـــه!
ونغـــوص في روث البهـــائم وهـــو ملقى في الـــظلم
ويـــطيـر نجم في السمـــاء... ويختفي بين الســـدم
ونـــرى كـلابـــاً ضـامـــرات... وهي تعـوي من ألم
قـــطعت طـــريق المعـــدمين... لعلهـــا تـلقى لـقم
* * *
وتلوح أكـــوام المنـــازل... وهي تـــرقـد كـــالفئـوس
صـــدئت كحظ النـــائمين بهـــا وشـاخت كـــالنفـــوس
وتـراقصت كـواتهـا بـالضـوء... كـالأمـــل العبـوس
والليـــل يجثم حـــولهـــا... وتـطلعت منـــه الـرءوس
* * *
ومضت بنـــا الأقـــدام تضـــرب في الـــطريق المعـتم
غـصت حـلوق الـــســـائـــريــن
ذوى الـكـــلام عـلى الـــفـم!
حتى وصلنـــا للعزاء... إلى مكـــان المـأتم
وهنـاك أقعى الـواجمـون على الحصيـر المـرتـسمـــي
* * *
وعلى الجـدار الكهـل. أدخنـــة تعشش في السقـوف
وتنحنـــح الشيـــخ الكفيف فخيم الـصمـت العـنيـف

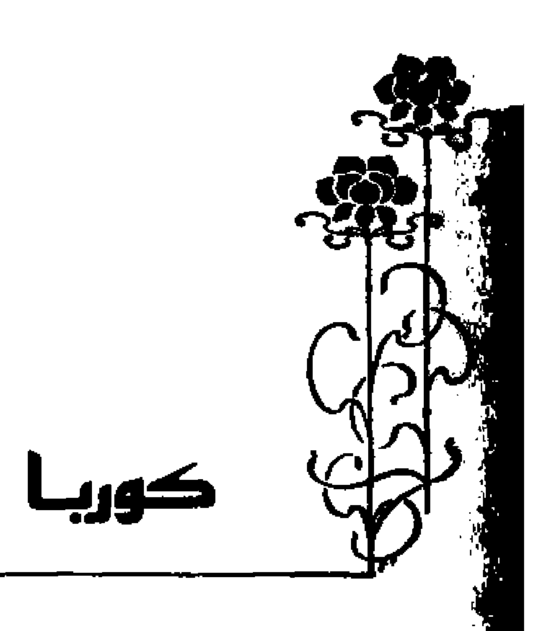
والجرة المكسورة انكفأت.. فأزعجت الخروف
قد كان ينصت في (الزريبة)
والكآبة في رؤاه!!
وتحشرجت كلمات شيخ غضنته يد الحياه
يحكى عن الماضي المرير وذكريات في صباه
وتلعثمت فيه الدموع... وأرعشت منه الشفاه
قد عاش والفأس الملطخ في يديه
... وحين مات!
قد مات. لم يترك لأشلاء البنين سوى الفتات
قد مات لم يفتر هذا الروح! حتى للممات
قد مر كالشبح المعذب في ليال مرعدات
«إنا إليه لراجعون»
صوت من القلب الحزين
فيغمغمون. ويغرقون!
وفي انكسار يطرقون
ومن العيون الذابلات تضج أحقاد السنين
وعلى الوجوه الشاحبات مرارة العيش المهين

* * *

ودلفت. والقمر الطروب يذيب أحزان الشجر
والظلمة الدكناء تخلي الدرب يرغمها القمر
تنسل والنور الدفوق يسوقها بين الحفر

وتمـاوجت في خـاطـري صـور الصبـاح المنتـظر
وارتـاع في قلبي الأسى كـسحـابـة كـانـت تمـر
وذرفت دمعـة راهب... وحبست دمعـات أخـر!

* * *



كوريا

فوق الصخور. وهضبة سوداء
قد جللت. بالموت... بالأشلاء
والموت قد سكن التلال وخيمت
أشباحه النكراء في الغبراء...
وبقية من مدفع متهدم
وبقية من جثة شوهاء!
والذكريات تمزقت مذعورة
لكنها احتضنت دم الشهداء
هذا الدم الغالي. تلطخ في الثرى
في موطن الآباء والأبناء
بالأمس كانت أمنيات شبابها
والأمس كانت أغنيات نساء
والأمس. كانت في الحقول جداول

أنَت. وخضلت الربى بالماء
واليوم لا أرز، ولا طفل هنا
غير الحداد... وشهقة الفقراء!!
والذكريات الجوف.. ملء هضابها
ملء الرماد.. يذر في الأجواء

* * *

أقسمت لا. يا كوريا. يا كوريا
والشعر مرتعش على أحنائي
أقسمت أنك في سوادك والردى
مضغ القفار وفح في الظلماء..
تبنين قبراً للدجى.. هذا الدجى!!
ترمينه في الهوة الحمراء
ترمين أسمالي وأحزاني أنا
في ثورة التعساء... والأجراء
فلأنت. أنت اليوم رجع بكائي
وبكاء محرومين من آبائي
ولأنت كالسيل الذي لم ينهزم
ولأنت كالإعصار. كالأنوار
فلتغسليني في ثلوجك كوريا
ولتقذفي البركان فوق شتائي!
حتى نغطي الأرض من دمنا لظى
فالأرض لما تصطبغ بدمائي

تاج السر الحسن

ثورة

قصة لاجىء

عيد الغريب

الكاهن

المسوخ

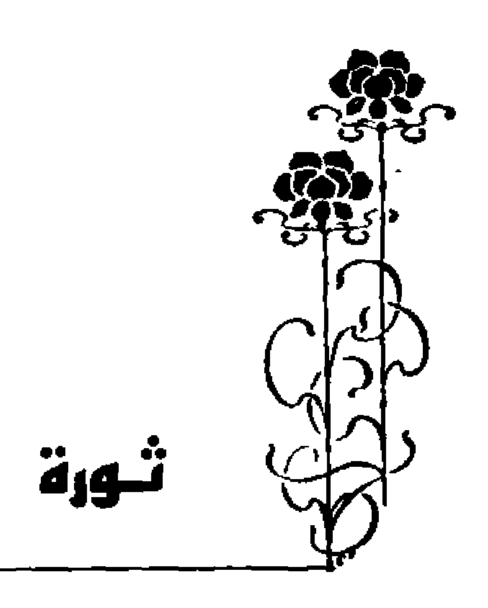
القمـر

الكـوخ

عطبرة



ورأيت السودان من مدفن التاريخ يصحو كمارد ذو
عزيمة



ثــورة

الظلام الذي يغلف إحساسي ويطوي أنواري الخلاقه
فيغيم السحاب كالغم في قلبي ليمتصَّ في الدجى أشواقه
والنشيد العظيم في قلبي الفوّار تغتاله سنيني المراقه
مثل ينبوع ثورة غاض في قلبي وقيدت في دمي آفاقه
أنا ما زلت ثورة تشعل الفن دماء مشبوبة دفاقه
أنا ما زلت قوة تدفع النور وتطوي الظلام تطوي اختناقه
ساعدي المصفدان بروح الظلم تواقتان للانطلاقه
فلماذا والفن فجر بقلبي ونشيد مجنح وانعتاقه
وسلاح يذود عن حق شعبي فلماذا أظل دون امتشاقه

* * *

والظلام الذي يغلف إحساسي سينهد من عميق كياني
قبضة الفجر مثل «شمشون» تجتاح قلاع القضبان والجدران
وصحارى الظلام يمتصها الفجر بواحاته نضار المغاني

سوف لا تنطوي بقلبي أحزاني ولكن ستنقضي أحزاني
وإذا أيقظ النشيد قوى شعبي ونادى من عمقه سوداني
ورأيت الجموع كالعاصف المجتاح تنقض من جميع المكان

* * *

ورأيت السودان من مدفن التاريخ يصحو كمارد، ذو غـزيمه
وجهه ها هنا مع العصر يقظان ورجـلاه في القرون القـديمه
ولـوقع الألـوف من أرجل المـارد رجع كـالثـورة المحتـومـه
وألـوف الأفواه تهتف عـاشت ثورة الشعب للحيـاة العـظيمـه
وهضاب الوادي تجيش بهزات ويدوي الصـدى بقلب الهزيمه
وعروس الرمال قد عـانقت حلفا وضمت سـواكن المهمومـه

* * *

والشمال الجديب قد قبل السـوباط روى أشـواقه المحمـومه
ومشى المـارد المـلايين يـطوي تحتـه قـوة الـظلام اللئيمـه
مثلمـا جوّعـوه خلف الديـاجي وأذابـوا قـواه تلك الجـريمـة
مثلما ضللوا الملايين واغتـالوا انتفـاضات روحهـا المكتومـه
سوف تمتصهم قوى الشعب يوما سوف تقضي على الحياة الرجيمه
سوف تقضي على الكهانة والطغيان والموت والدجى والهزيمه

* * *

وهزيم الجموع يملأ سمع النيل سمع الضفاف سمع الوادي
والـدوي العظيم كـالبعث يحدو كتـل الثائـرين عبـر الـوهـاد
من وراء السهـول من خلل الأدغـال من لا نهـايـة الأبعـاد

كتــل تحمــل الســلاح لــواء مشهــراً تستعيـد حق بــلادي
كتل تحمل السلاح لسحق الظلم سحق الطغيان سحق الأعادي

* * *

وكأني والشعب في ثورة النصر دماء تسـقي الربـى المقهوره
وكــأن الــدمــاء تـكـتـب للتاريخ حريـة القوى المـأسوره
وكــأن الـثـوار قــد ظـللتهم نفحة من حيـاة أمس المريـره
حين نادى فتى من الشعب هيا إن نمت نبعث الحياة الكبيره
حين مات الجدود تحت حذاء الظلم تحت الحوافر المغروره

* * *

غير أن الدوي قد عاد قصفاً يحمل الأمس كـالقذيفـة نارا
ليدق الأعناق أعناق من داسوا جـدودي وشــردوا الأحــرارا

* * *



قصة لاجئ

في أرضك المسحورة المستباة
والروض نشوان بِوَشْيِ الحياة
وحقلك المخضر معشوشب
ذابت عليه خفقات المياه
ورنقت في السنبل الأمنيات
مبيضة مرعشة في رباه
وأنت في الحقل سعيد الرؤى
وسط الحقول الزرق وسط المياه
وسط السواقي وأغاني الحصاد
والطير يشدو وثغاء الشياه
وموكب الرعيان في أرغن الحانه
تنبض قلب الحياة

* * *

تمضي إلى الحقل وفي مقلتيك
عزم ومعنى خالد في دماك
وقد تركت الكوخ في حضنه
صغارك الغر ودنيا صباك
وأنت فرحان تغني هنا
نشيدك الساذج ـ يحدو خطاك
وزوجك البريئة الطاهرة
تعد ما يشتهيه هواك
تطل من كوتها ساهمة
تنظر للدرب عساها تراك

* * *

وامتلأ الجو على فجأة
بطائرات هزيمها كالرعود
وعربدت في الأفق أصواتها
تنذر بالموت ووادي اللحود
وتملأ القلوب أشباحها
وتنشر الرعب بأرض العبيد

* * *

وانسلت الصاعقة المحرقة
عاصفة بالكوخ بالحالمين
بالأبرياء الصغار الألى

لم يعرفوا الشر ولون المنون
بالأم وهي الحلوة الوادعة
ترقص في الدماء بين الأنين
وحولها أطفالها غارقون
في لجة حمراء بيض العيون

* * *

وأنت قد راعك هذا الهزيم
وطوفت في خافقيك الهموم
وحولك الدخان مسودة
أجواؤه مربدة كالغيوم
وقلبك المسكين قد راعه
هذا الأسى هذا الجحيم المقيم

* * *

ها أنت تجري مستحثاً خطاك
في الدرب والبارود موت يفسوح
أأنت عند الكوخ من يا ترى أخفاه
ماذا ؟ أين ؟ هلا يلوح
أين علوى ؟ أين طفلي هنا ؟
أين بنتي ؟ أين قلبي الجريح ؟

* * *

لم تبق إلا قطرات الدما
لم تبق إلا فتحات الجروح
وغير أشلاء وجوه صغار
وثدي أم مرتم في النثار
نثار كوخ أحرقت حوله
آماله المؤثلات الكبار

* * *

وعدت والدرب رماد جديد
والعشب مصفر عليه عفار
والحقل محروق وصوت النعيب
يملأ سمع الزهر سمع القفار
وصرخات المشردين الخطى
لعلعة مجنونة وانبهار
وخطوك المشدوه مغرورق
في منحنيات الزرع بين الدمار

* * *

وانجلت العاصفة القاتله
وأنت لا تدري إلا ما تسير
وماتت الأمنية الخافقه
يا ليتها لم تلق هذا المصير
وفي النحيب الصامت الهازج
تمزقت في القلب دنيا السرور

ابنـاك والأم طيـوف تـدور

وكـوخك المهجـور مثـل القبـور

أصـداء قـلب فتنتـه الـرؤى

وذبحـت آمـالـه والـمـصـير

* * *

هـا أنت مثلي في رحـاب الحيـاة

تمشي ولا تـدري إلا مـا تسير

وأنـت مـثـلي ثـورة خـامـدة

تئن حيـرى في رمـاد السنين

وأنت مثلي إشعـاعـة عـاصفـه

تخبـو وتبـدو في فمي والعيـون

فـأنت مني ونحـن تـرنيمـة

ونحن صـوت يتحـدى القـرون

لـنسـمـع الـخـلود أنـشـودة

رائعـة التصـويـر حـرّى الـرنين

* * *

وسـوف نحـدو ونغـنٍّي الشعـوب

وسـوف ينـداح الـدجى والظنـون

ونـبعـث الـمستضعفين الألى

مـاتـوا هنـا في ظـلام القـرون

وابنـاك والأم غـداً يبسمـون

* * *



يا عيد لو كنت أنا فرحة أو كنت فيضاً من كروم.

السرور



عيد الغريب

كليلة فـارغـة قـد مضت. . . ليلتـه لـولا ذبـال صغيـر
والغـرفـة الغـافي بهـا أمسـه مصبـاحهـا حي كـطفـل غـريـر
وشـارع الحـارة قـد قـطعت هـدأتـه أصـوات أطفـالـه
في ليلة العيـد وهم يحلمـون بـالفجـر بـالـزهـو بـإقبـالـه

* * *

يحتضنون الغد في حبهم لـلعيـد فـي مقـدمـه الـمشـرق
والكعك في العيد وثوب جديد منمق في وشيه المـورق. . .

* * *

وكـل طفل نـام. . في جفنه أرجـوحـة تنـدى بلون الـذهب
تنقله كـالريـح في أفقهـا. حتى كـأن الأرض قـرب الشهب

* * *

كـليلة فـارغـة قـد مـضت لـيلتـه لـولا ذبـال صـغـيـر

والغرفة الغافي بها أمسه مصباحها حي كطفل غرير

* * *

سريره الفارغ والنافذة صامتة تطل عبر الخراب
والمقعد المهجور والمنضدة وصوت مذياع كصوت الاياب
أغنية ينبع منها اللهيب من قلب فنان شقي الحياة
كانت تشد الأفق من حوله وتنبش الذكرى بدنيا هواه
ويتبع الغنوة صوت حنون. . . عاشقة زف هواها الربيع
عذراء قد باركها للهوى عشق حبيب خافق في الضلوع
ومن مكان لا تراه العيون. . . من زحمة الحارات في حينا
صوت' هديل' تائه' في الضجيج ينسل من أوتار قلبي هنا

* * *

وأقبل الفجر وقد ثرثرت أقدام أطفال على الحارة
وانطلقت تشدو عصافيرها للعيد في شارعنا الصامت

* * *

ألف رداء ألف لون بدت تقفز في الشارع والعطفة
والضحكة الطفلية الحافلة تملأ كل الحي كالبهجة
وشدق طفل دائر كالكرة ينفخ في بالونه الأحمر
وتزدهي أخرى بفستانها بلونه المشجر الأخضر

* * *

كأنهم أخوته عندما يلهون بالبيت البعيد البعيد
والعيد في أعماقهم فرحة حلوى ولهو في دروب النهود

والعيـد في أعمـاقـه ذكـريـات عن ذلـك الـوادي وأحـلامـه
والعيـد أن يـذكـر إخـوانـه وغـربـة تخبـو بـأيـامـه

* * *

يـا عيد لمـا جئت تلك البـلاد قبلتهـا حتى الـربى والـوهـاد
هـل فرحت أمي بـذاك المجيء أم نغصتها ذكـريـات البعـاد

* * *

واخـوتي يا عيـد هل عـانقوا فـرحة أضـوائـك عنـد الصبـاح
أم ذكـروني فبكـى قلبهم لغـربتي واستسلمـوا للنـواح؟؟

* * *

يـا عيد لـو كنت أنا فـرحة أو كنت فيضـاً من كـروم السـرور
أو كنت عيـداً مثلمـا أنت أو كنت ربيعـاً مـلء كـوني زهـور

لمـا بكت أمي ومن حـولهـا يهلل العيـد ويحيـا المـرح
وإخوتـي ما ظل في وجههـم هذا الأسى ما مات ومض الفرح

* * *

والغربة الحمقاء هذي العجوز ترتـع في الوادي وفي أرضنـا
سـاحـرة تمتص معنى الحيـاة معنى بقـائي في بـلادي أنـا

* * *

يا إخوتي خلف امتداد الهضاب وخلف حيدوب[1] وركب السحاب

---

(١) جبل.

وشجـر الـلالـوب قـد خيمت ظـلالهـا فـوق ظهـور البيـوت
«ونيمتي[1]» مـا زال أينـاعهـا يمـلأ قلبي بغـد لا يمـوت
محمـداً مـا زلت في كـل حين أذكـر مـا أوصيتني من سنين
سيـارة تقـطع في سيـرهـا غـرفتنـا في سـرعـة كـالجنـون

* * *

وقصـة عن فـارس ثـائـر يبحث عن كنـز يعيـد الحيـاة
وعن فتى عاش كولـد النمير لا يـرهـب الظلم وفجـر الطغـاة

* * *

محمـداً أنى سـآتي غـداً والعيـد يـأتي في خـطى عـودتي
والفجر يأتي والصباح الجديـد وتضحك الأم لـدى ضحكتي

* * *

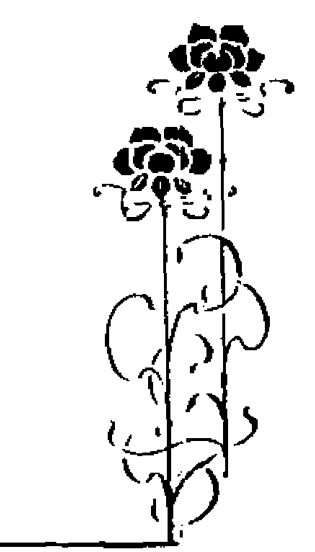
وندفن الغربة لا لن تكون في الأرض هـذه الغربـة الشاحبـة
نشعلهـا في النـار. نلقي بهـا تـذرهـا العـاصفـة الصـاخبـة

* * *

(١) اسم شجرة.



جلس السيد الجليل على البهو غريقاً حول الضياء المزخرف



الكاهن

الضفاف المهدمات يحز الموج في ضلعها وقلب الجزيرة
والنخيل المطل من شفة الشط ظلال على المياه الغزيرة
والسواقي تبكي بلحن كئيب فهمته الجزيرة المقهورة
وسماء الشمال يلهبها الصيف فتذرو أضواؤها المحرورة
وظهور العبيد أثقلها الذل فأحنت رؤوسها المنشورة
والفئوس التي تعانق أيدي البؤس أيدي هذي الوجوه الفقيرة. . .
تسمع الأرض أنة وتسقي زرعها من جهودها المقبورة

* * *

وتوارت خلف الحقول بيوت كعبتها بالطين أيد شريده
الجدار الذي لديها خطوط من حبال طينية مشدوده
طبعت فوقها أنامل بناء سقاها أيامه المكدوده. . .
وترف الأبواب عرجاء تعوي ساهمات إلى السهول البعيده
وعليها تجمعت عتبات الطين تشكو خطى الأناس البليده

والبيوت العجفاء لا نافذات غير أشلاء كوة مقدوده
الضياء المحبوس يلقي عليها نقطا من فيوضه المردوده. . .
وكأن الدخان مستنقعات داخل البيت والكهوف العديده

* * *

حيث يأوي المعذبون عبيد الحقل حيرى مع الظلام الموحش
بعد أن مصت الحقول عروقا نابضات وساعدا عاد يرعش
ها هنا في الكهوف عادوا ولكن في غد يعرفون من كان ينهش
في غد يعرفون من كان يروي من دماهم احناءه حين تعطش
فهم اليوم يشعرون ولكن في غد ثورة العبيد ستبطش. . .

* * *

وتعالى خلف البيوت بناء شامخ كالقصور في كبرياء. . .
زوق الجير لونه فهو في القرية بيت مقدس الأنحاء. . .
عشعشت فوقه الخفافيش وامتد نعيب كهمهمات الفناء. . .
غير أن العبيد يأتون للقصر للثم التراب والأرجاء. . .
لم تكن تعرف الجزيرة قبلا كاهنا في القصور عبد رياء. . .
كاهنا هاجرت خطاه بعيدا عند أرض المدينة الغناء. . .
فتلاشت في نفسه صور القرية إلا حنينه للعطاء

* * *

نسي القائمين عند الجداول. . .
نسي القابضين أيدي المعاول. . .
غير همس النقود همس السنابل. . .

غير احناءة الشريد الذاهل . . .
غير لثم الحذاء لثم الأنامل . . .

* * *

وبعيدا عن القرى عن أماسيها بعيدا عن شعبها المغبون
وبعيدا عن الألى خلقوا النور لتمشي الحياة عبر السنين
وبعيدا عن النخيل المذري في شعاب الدجى هزيل الغصون
وبعيدا حيث الضياء ضرير في قلوب الكهوف عند الدجون
وبعيدا حيث العبيد يغنون دعاء للسيد الملعون . . .
كان قصر يطل فوق الليالي قمرى الحيطان والتلوين . . .

* * *

جلس السيد الجليل على البهو غريقا على الضياء المزخرف . . .
والثريات بالشعاع يشوكن صفوف الظلام أيان تزحف .
قد تنسقن في الحبال صفوفا وحرير الضياء خيط تكثف
وبدا البهو قد تموج بالأجسام تطفو حول الآله وتلتف .
أغرقت جسمها البدين خطوط من حرير ومن حزام ومعطف
وحشود من العمائم بيض باحثات عن الطريق إلى الكف
باحثات عنها وقد أغرقتهم في ظلام الأمس الضرير المغلف

* * *

كان جمع من الشيوخ وكانت مسبحات تشع بين الأصابع
وبخور يمد أجنحة زرقاء ينفضن عطرهن الذائع
وعيون العبيد ذاهلة حيرى تطلعن للإله المخادع . . .

وعلى البعد بين حشد الأناشيد ووقع الخطا الرتيب التابع
وقف اثنان يرجفان حديثا عن صفات الولي رب المنافع
إن سيدي تراه عيني ولكن لا ترى لونه العجيب الرائع
وهمو يهمسون والسيد المنهوم في قلبه تضج المطامع

* * *

وعلى الساحة الكبيرة في القصر جموع من الشباب الغرير...

أغرقتهم طلاسم السيد المالك في قبو ليلها المضفور
فنسوا ما أصاب قريتهم من ظلم هذا المتأله الشرير...
ونسوا أن شعبهم هو رب الأرض أم الزهير أم الخرير
إنه السيد الكبير سيجلي عن حماها أعداءها للقبور

* * *



تطل على القصر والعشة وتشرق في مروح النسمة



المسوخ

أنا لست جيفة أنـا أنّة من شعبي المصفـود حارقـة مخيفه
أنا لست جيفة أنا لست جمجمة كما رسمت أنا ملك الوجيفه
أنـا شـاعـر قلبي تمـوج بـه الحيـاة هنـا وريـفـه
قـلبـي ربـيـعـي الأسى ذخـرت أمـانيـه الـرفيـفـه

* * *

أنـا هـا هنـا للسـفـح للمقهى أرنمـهـا قصيـدي
وهنـا لـدنيـا البـائسين وهبت فـي فـرح نشيـدي
يـا أيـهـا الأجـداث يـا من راعـهـا معنـى وجـودي
فتهـافتت فـي ثـورة المصبـاح كـاليـأس المبيـد
الضـوء يعميهـا فتهـوي حـول مـاضيهـا البـعيـد

* * *

نـشـوانـة في قـبـوهـا الملتف في أيـدي البـخـور

ألفت أحاديث الظلام وبسمة الأمس الحقير
وكناسة الأمل المذابة في التأنق والغرور
والقبو يقبع في الدجى كالحقد في دنيا الشعور

* * *

وتطل في الأفق البعيد مشاعل بيد الحياة
ويجرر التاريخ رجليه على لحن الحداة
ويرن صور البعث في الآفاق في أذن الموات
فتحس وجنتها الجماجم وهي غرقى في الرفات
وتعود تمشي في هياكلها وترقص للحياة

* * *

والقبو سوف يروعه وقع الشعاع على الدروب
ومعاول المقهى تفتح للشعاع كوى الوثوب

* * *

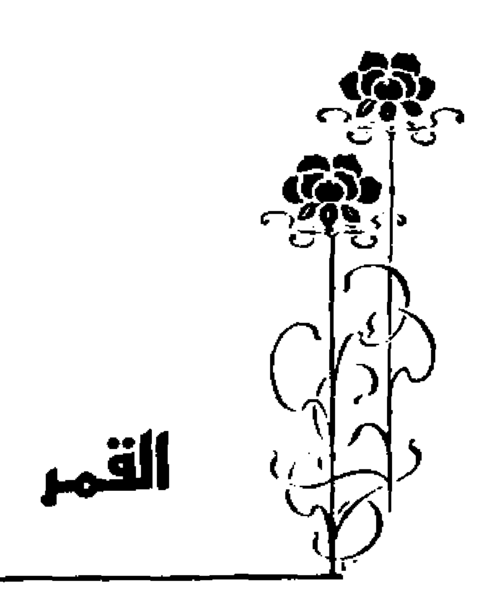
ويطل طفل السفح كالأشواق كالأمل الخصيب
ليرى أناسا غيبوا في الموت في الماضي الرطيب
ليرى ضلوعاً أحرقتها لعنة الأمس المريب
ليرى مسوخا شوهت في نفسها قدس الشعوب

* * *

وكأن مسخك بينها أسوان بين يد الدخان
لعبت به الأشباح فاستلقى يحملق في المكان
لا شيء في أعماقه إلا أعاصير الهوان

أو صورة بشرية التخطيط شائهة المعاني...
قد أنكرت حب الحياة وأنكرت حتى الأماني
لكنني سأذود عنك مخاوف القبو الهواني
وارد قلبك شاعراً في عمقه حب البريه
ويهز اشعاعي هنا أدغال ظلتك العتيه
وتهيكل الأضواء من قلبي أماسيك الشقيه
فتعود يا ابن الليل فجريا صباحي الطويه
وتقدس الشعب الذي حطمت فيه الآدميه

* * *



القمر

تطل على القصر والعشة
وتشرق في مروح النسمة
وتملأ قلب الصحارى شعاعا
تراقص في الصخر والذرة
وتهدي قوافلها التائهات
وراء التلال إلى الواحة

وفي الروض تحكي حديث السماء
وترويه للزهرات الحسان
وتغضب من قسوة القاطفين
فتنسيكها فوحة الأقحوان
تحن لضوئك صفصافة
وقد ظللتها يد السنديان
فترسل أشعاعة للبحيرة

مـمـلوءة بـالـهـوى والـحـنـان
فتضحك صفصافة الشط فـرحى
بـهـذا الـلقـاء وهـذا الـمكـان

وفي القصر كم روعتك النوافذ
وكم زاحموك بنور الظلام
تناسوك لما تناسوا الجمال
وضلوا هناك بتيه الحطام
وأما رأوك وقد ذبت
أناملك القصر هذا الركام
تمنوه كنزا من التبر لما
تحجر إحساسهم واستنام

وفي الكوخ بين ثنايا القصب
وعند فم الكوة المعتمه
تفتح صدر البناء الصغير
فعانقت حاصدة نائمه
وبالقرب قام فتاها يصلي
لتأتيهما الليلة القادمه
فينطلقا في دروب الحقول
إلى السفح بين الربى الحالمه
وملا جناحيهما نشوة
بآفاق روعتك الملهمه

وفي عـالمي في دجـاي الصمـوت
تـرفـرف خلف الضبـاب الحـزين
وتـمـلأ نـفـسـي بـإشـراقـة
رمتهـا الـقـرون لأيـدي القـرون
كـأنـك تـرسـلهـا شـعـلة
تـنيـر الـحيـاة وتـبـني الـسـنيـن

أهـذا طـريق الحـيـاة الـطويـل
وأنـت تـطل عـلى الـقـافـلاتْ
وهـا أنـا ألقي إلـيـك النـواظـر
والـركـب قـد أنهـكتـه الـحـيـاة
فـنـام - وفـي مـقـلتـي سـؤال
وفـي خفـقـاتي صـدى أمنيـات
ستخبـو مع الـركب عبر الفـلاة
وتـذوي على الجسر جسـر الممات
ولـكـن مـشـعـلك الـخـالـد
سـيبـقى سيبـقى طـوال الـحـيـاة

* * *



الكوخ

ذلك الكوخ ذكريات تـلاشت في طوايـا طفولتي وصبـايا
ذلك الكوخ منزلي وهنا بـالأمس كانت معـربدات خـطايا
كان أنشودة وكنت صـداها كنت لحنـا وكان لي هـو نايـا
وبقـايا خـطوي عليه تنـادي صارخـات إلى لقـاي لقـايـا

ذلك الكوخ في جوانبه أمي وفيه إخوتي يمرحون بين رحـابه
وهنا والدي يجيء مع الليل. . . ليقضي المسـاء بين شعابـه
حيث كنا نقضي الأماسي فـرحى في حديث نتيـه في خلابـه
وأخي جـالس يحـدق فينـا كلمـا قيـل زاد في إعجـابـه

هـو طفـل وأختـه مثله تـرنـو
لقـولي مشغـوفـة مـمـا بـه
وهي لا تـرتضي حـديثي حينـا . .
فـلهـا أن تـردني لصـوابـه . .

وهنا جدتي تسوق الأساطير
وتروي الخرافة السحريه...
وهي تلقي على السرير بقايا
جسد منهك ونفس هنيه
وعلى وجهها الصغير خطوط
رسمتها يد الزمان الغويه
وعصاها العتيقة الملويه
وارتجاف الأنامل المحنيه

كان في سالف الزمان وكانت
قصة الحب قصة الإنسان
كانت الأرض تزدهي بالأماني
كان ابن النمير يعشق ليلى
وهي كانت أميرة للجان

وهنا في شعاب هذا الخيال
عبر آفاق دهره والثواني...
كان يمضي بنا الحديث المثار...
وحنين المجهول يدفع فينا
رغبة يستزيدها اصرار...
هكذا هكذا نقضي الأماسي...
بهجة فرحة علينا تدار...

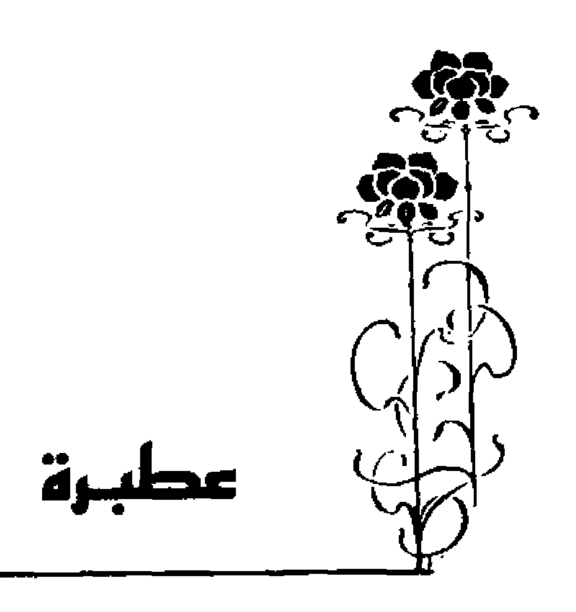
ثم يمشي النعاس في الأهداب
في العيون البريئة المطمئنه

في الـوجـوه الحبيبـة المستكنـه
ويغطي السكون حتى الطريق الرحب
حتى ظـلالـه الـمـرجحـنـه

وتنـام الـطيـور في الأعـشـاش
حـالمـات صغـارها في الـدجنه
بـرؤى الفجر بـابتسـام الصبـاح
بندى الـزهـر باللحـون المرنـه

ويـطل الـفجـر الـجمـيـل عليـه
وهـو قـيـثـارة بـيـمـنـى يـديـه
هو كوخي الصغير مستودع الماضي
ولـحـنـي الـذي أحـن إلـيـه
كـل ما كـان من مشاعـري الحـرى
وخـطوي يـخـطـرن في راحـتـيـه
وهـنـا ظـل ـ نـيـمـتـي ـ وثـراه
يـدعـواني إلـيـه يـومـا إلـيـه

* * *



عطبرة

مدينة الحديد واللهيب
مدينة الشغيلة الأحرار والنضال
تناثرت من حولها المداخن الطوال
ووجه قاسم المرسوم في القلوب
يطل في سمائها المهبب الكئيب
يقطر الحياة
ويرسم المستقبل المنور السعيد

* * *

مدينة الحديد واللهيب
مدينة الشغيلة الأحرار والنضال
تعيش تخلق الحياة والسلام
وعندما تنام
تحلم دائما بالمشهد العجيب

(سلام). . . و. . . (الشفيع). .
وموكب الشغيلة الأحرار والنضال. .
والعلم الذي طوقه الحمام يشقق الظلام
ويبعث اللهيب
وقبضة السواعد المفتولة السمراء
تشيد الضياء
وفي الصباح. . .
يفتح المجهول: اشياء لم تكن تقال. . .
شمال أفريقيا تعود تحمل السلاح. . .
ويضرب العمال في مصانع النسيج
في لانكشير
حيث قطننا يباع بالتراب
وأضرب المزارعون في الجزيرة الخضراء

* * *

وموكب الشغيلة الممتد في الطريق
يشارف المصانع الغبراء كالدخان
وعندما تقبل المطارق السندان
وتنزف الدماء
ويستطيل اليوم كالظلال في الغروب
تعود أذرع الرجال
تمتد ما وراء عتمة البحار

تعانق العمال في مصانع النسيج
في لانكشير
حيث قطننا يباع بالتراب
ووجه قاسم المرسوم في القلوب
يطل في سمائها المهبب الكثيب
يقطر الحياة...

* * *

وفي المساء تمسح الكآبة الوجوه والعيون
مدينة الحديد واللهيب...
تعود تذكر الرجال
أبناءها الذين ماتوا عند حومة النضال

* * *

صلاح...
وهي تحتوي رفاته صلاح
تذكره القلوب في مدينة الشمال
يذكره الرفاق بالسلاح
و... «قرشي» تعرفه مدينة الجنوب
وملتقى النيلين عند مشهد الغروب
والشرطة الذين يرهبون وحدة الجموع
يعرفه الجميع...
حتى الذين يشربون من دم الرعاع

وسادة الاقطاع
يعرفه الرعاع
مضرج بدمه يموت في الصراع...

* * *

مدينة الحديد
حزينة لكنها في وحشة الظلام
وعندما تنام
تحلم دائما بالمشهد العجيب
سلام والشفيع
وموكب الشغيلة الأحرار والنضال
والعلم الذي طوقه الحمام
يشقق الظلام
ويبعث اللهيب
ترتفع السواعد المفتولة السمراء
تشيد الضياء
وفي الصباح
وجه قاسم المرسوم في القلوب
يطل في سمائها المهبب الكئيب
يقطر الحياة

* * *

فهرس

إهـداء ٥
تصدير ٧
مقدمة ٩

جيلي عبدالرحمن ٢٣
شوارع المدينة ٢٥
أطفال حارة زهرة الربيع ٢٣
يـد ٣٣
الفجر في قرية ٣٥
عبـرى ٤١
هجرة من صاي ٤٦
عزاء في قرية ٥١
كوريا ٥٥

تاج السر الحسن ٥٧
ثورة ٥٩
قصة لاجئ ٦٣
عيد الغريب ٦٩
الكاهن ٧٥
الممسوخ ٨١
القمر ٨٥
الكوخ ٨٨
عطبرة ٩١

